«أزرق مثل النيل». كان الجنود يشربون الويسكي والعرق، وعندما يسكرون يبدأون بضربنا وتعذيبنا.

في الأيام الأولى انتشر مرض الاسهال، فكنت ترى العشرات «يتبرزون» في ثيابهم، لأنه لم يكن مسموح لك أثناء الليل بالذهاب الى المرحاض. البعض استعمل صحن طعامه وأحياناً يحفر مكان نومه جورة صغيرة كي يبرزّ فيها، ومرة غامر أحد الأسرى وذهب الى المرحاض ليلاً، فضرب حتى تشقق ظهره من الجروح، ولكن «الجلدة» كانت أهون عليه من أن يقال أنه تبرّز في ثيابه.

وفي احدى الليالي أصبت «بدوار» برد فأردت أن أتقيأ، ولكن «الدورية» لم تسمح لي بذلك، الا بعد جهد عسير، فتقيأت في صحن الطعام. حتى التقاليد الدينية لم يراعوها، فأحد الأسرى ويدعى (خ. ع) من شحيم، ذهب ليتوضأ ظهراً من أجل الصلاة، فكان عقابه أن كسر اصبعه وتورم ظهره من شدة الضرب، وبقي ثلاثة أيام نائماً لا يستطيع تحريك جسمه.

عندما كنا نخلد للنوم كان شرطي المحطة يقول لنا: «ناموا يا كلاب في المساء، واستيقظوا يا «م...» في الصباح». أما الطعام فلا يختلف عما كنّا نأكله داخل اسرائيل، الا أنهم في الفترة الأخيرة أعطونا كمية من الفاصوليا، وهناك وجبة تسمى مغربية، حتى الدجاج لا يأكلها. لم يكتف الصهاينة بهذا التعذيب الجسدي فقط، فحولوا معتقل أنصار الى ما يشبه حديقة للحيوانات؛ فالوفود الاسرائيلية السياحية الطلابية تزورنا بين فترة وأخرى، للتفرج علينا؛ نعم كنا مثل حيوانات في حديقة عامة، ولكن، حتى الحيوانات فلها حقوقها ومسموح لها بحرية الحركة في أقفاصها وتحصل على وجبات الطعام، أما نحن فكنا بعيدين عن هذا كله (!!).

الانتفاضة الأولى

المعاملة اللاإنسانية بدأت تولّد فينا روح النقمة والتمرد، ففي ١٧ تموز ١٩٨٢، عشية ليلة القدر، شرعنا بتلاوة الآيات القرآنية واقامة الصلوات؛ هذا الوضع أزعج قيادة المعسكر، فاستنفر حرس المعسكر وتحركّت آليات العدو المدرعة في محاولة لمنعنا، كون هذا العمل يعتبر كسراً لقوانينهم، فصممنا على الاستمرار بتلاوة القرآن بحكم قدسية هذه الليلة، ومهما كانت النتائج. هذا الاصرار من قبلنا دفع العدو الى تهديدنا واطلاق القنابل المضيئة ارهاباً، ولكن هذا التصرف الصهيوني أشعل النار في نفوسنا أكثر.

صبيحة ليلة العيد صرخ حارس المحطة بأحد الكهول المرضى واسمه (ي.ن) من عين الحلوة، لأنه حرك جسده أثناء الاحصاء، ضربه بالعصا على صدره ورأسه. فتذمر الكهل وصرخ بصوت عال: «قوصونا لم نعد نحتمل معاملة الحيوانات» وبالفعل وقف شامخاً بوجه الجنود الذين طلبوه مرة ثانية، فخلع قميصه وصاح بصوت عال: «اطلقوا النار، اطلقوا النار أيها الجبناء، لقد كان أشرف لنا أن نستشهد على أن نعيش حياة الذل هذه». وما ان سمعنا هذا الكلام حتى هب المعسكر كالبركان، خرجنا من الخيم متظاهرين ومرددين: الله أكبر، لا اله الا الله.

هذه التظاهرة دفعت قيادة المعسكر الى نقل الشرطي الذي ضرب الكهل وسجنه